

نقابة المحامين

بيروت

النقيب

كلمة نقيب المحامين في بيروت الأستاذة أمل فايز حداد

خلال انعقاد أعمال المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب في دورته الثامنة للعام ٢٠١٠

المنعقدة بتاريخ ٢٠١١/١/١٣ في مدينة فاس- المغرب

حضرة نقيب محامي فاس- المغرب، رئيس الدورة،

حضرة رئيس اتحاد المحامين العرب، النقيب الأستاذ حمدي خليفة، نقيب

مصر،

حضرة الأمين العام لاتحاد المحامين العرب، النقيب الأستاذ ابراهيم السملالي

إخوتي النقباء،

الأمناء العامون،

الأعضاء المنضمون،

أيها الزميلات والزملاء،

أيها الحضور الكريم،

« الحريات طريق الأمة إلى تحرير الأرض وتحقيق الوحدة »

كلما راودتنا أحلام الوحدة العربية، لاحت لنا كتابتها خفاقةً يبارقها في مشارق
العرب ومغاريهم، وبان لنا سراياها " تزجي الصفوف تحت الدرفس "، وشخصت
فيالقتها طعانةً رماحها في نحر بني صهيون، دواسةً أقدامها ترائبَ أحفاد بني
غوريون، حفارةً سيوفها على أجياد الجياد ملاحمٍ يجترحها خالد بن الوليد والمعنيُّ
الثاني فخر الدين، وسمعنا أجراسَ كنيسة القيامة في أورشليم القدس تُقرع، ورأينا
المسيح يدحرج، للمرة الثانية، في الليلة الثالثة، الحجر عن قلوب المعذبين في
فلسطين، وطارت بنا أنغام المآذن في المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وشاهدنا
محمدًا يُجوّد من آيات الرحمن:

" وَإِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ " (سورة الأنفال، ١٩)؛
" وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ " (سورة إبراهيم، ١٥)؛
وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ " (سورة
يس، ٩).

وما أن تُبصرَ أعيننا الصبَاحَ، وتُتلاشى عن مَقَلِنَا الوَسْنَى ظلالُ التصورات
والأوهام، حتى ندرك أننا في أهلاسٍ وتخيُّلاتٍ كُنَّا نَتَخَبَّطُ، فَتَتَبَخَّرُ ملاحمُ
الأضغاث، وتتبَدَّدُ مشاهدُ المعارك، وتنتشُّتُ الأعلامُ والرايات، وتتوارى الأحلام،
وتياسُ من القيامةِ كنيسةُ القيامةِ وتخرسُ الأجراسُ، ويستعيدُ يسوعُ مراحلَ عذابه
ويتلمَّسُ المساميرَ وإكليلَ الشوكِ، ويُسمَعُ للمسجدِ الأقصى أنينٌ، وبشفاهِ محمَّدٍ يتكلَّمُ
اللهُ:

« وعنده مفاتيحُ الغيبِ لا يعلمُها إلا هو » (سورة المائدة، ٥٢)؛
« ولو أن أهلَ القرى آمنوا واتَّقوا لَفَتَحْنَا عليهم بركاتٍ من السماء والأرضِ »
(سورة الأعراف، ٩٦)؛
« رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِي فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »
(سورة الشعراء، ١١٧/١١٨).

ونُدرك، عندئذٍ، أنَّ المستعمرَ يُقيمُ في كلِّ ذهنٍ عربيٍّ وفي كلِّ أرضٍ؛
ونوقنُ أنَّ إسرائيلَ تستوطنُ نفوساً فينا وعقولاً، قبل أن تحتلَّ أرضاً في فلسطين؛
ونلمسُ أنَّ ما ينزله بنا أبناءُ جنسنا، وأبناءُ لحمنا ودمنا وديننا من استكبارٍ
واستعمارٍ واستحمارٍ، وما يسوموننا به من تنكيلٍ وتقتيلٍ واستغلالٍ واستئصالٍ، في
أوطاننا أو في إسطبلاتنا أو في زرائبنا العربيَّة، لا يقلُّ وحشيَّةً وشراسةً وهمجيَّةً
وفظاظَّةً وبربريَّةً عما يعاينه ويعانيه الفلسطينيين المقيمون على أرضهم،
والمقاومون المذهلون الرائعون، على أيدي عصاباتِ العدوِّ الإسرائيليِّ.

أيها الأخوان العرب الأحياء،

لا يُفيدنا أن نتلّطى وراء أصابعنا. ولا يُجدينا أن نتعامى عن واقعنا. ولا ينفعنا أن نضع رؤوسنا في الرمال كالنعامة التي يُضرب بها المثل بالنفور والغاوة.

أيها الأخوان العرب الأحياء،

تعالوا نتصارح. أنا أريد أن أصارحكم.

كان كاتون الأكبر (Caton l'Antique)، رجل دولة رومانياً، ومن مشاهير الخطباء، وكان صادقاً في دعوة شعبه إلى حياة الشظف والخشونة، حريصاً على اختتام خطبه جيمعاً بهذه العبارة: " يجب تدمير قرطاجة ".

فمن هم حكماء العرب وخطباؤهم ورجال الدولة فيهم الذين لا ينفكون يرددون عبارة: « يجب القضاء على إسرائيل »؟

وماذا يخططون، ويعتدون، ويجهزون، لتحقيق ما به يتشدقون؟ وما يقولون؟ وما يفعلون؟ وأي حياة يعيشون؟ وما مبلغ الصدق في أقوالهم والأفعال؟

وهل هم أعداء لإسرائيل حقيقةً وحقاً، أم بقاؤهم من بقائها، وبقاؤها من بقائهم؟ وهل هم من يتولون لمصلحة إسرائيل إخضاع شعوبهم، وترعيب أحرارهم، وترهيب متقفيهم، وتهديد نشطائهم، وقمع ثوارهم؟

وهل على المواطنين العرب في مختلف ديارهم أن يكابدوا ظلم نوي القريبى ويستردوا حقوقهم وثرواتهم من مغتصبيها، ويصونوا حرياتهم من أهواء معظم القادة وشهواتهم؟

وإذا أقمنا مقارنةً بين إسرائيل الصهيونية ومعظم الدول العربية، وأشرنا إلى بعض ما لدى هذه الأخيرة من فساد ومظالم ومشروعات سرّية وشريرة تتحرك في دياجير الضمائر، وتتلطّى في غياهب السرايب، تبين لنا أن الطغيان أخو الطغيان، وأن أسوأ الحكّام من يأمرون بالمعروف ولا يأمرون به، وينهون عن المنكر ولا ينتهون عنه.

أيها الأخوان العرب الأحياء،

سرّحوا أنظاركم في ما نسمّيه بلاد العرب، تشاهدوا النزاعات الداخليّة والفتن الطائفية والعرقية والمذهبية، والصراعات القبليّة والإنقسامات السياسية والخلافات الحدودية، والإرهاب يخضّب بالدمّ القاني الكنائس والمساجد.

سرّحوا أنظاركم في بلاد العرب ترّوا الحقّ في الحرية والأمان الشخصي ينتهك: آلاف المعتقلين اعتقالاً تعسّفيًا . آلاف المحتجزين دون اتهام أو محاكمة. آلاف من السجناء الذين أمضوا فترة العقوبة ولم يُفرّج عنهم.

وما يثير الرعب أن معظم هؤلاء المعتقلين هم من المعارضين، والنشطاء السياسيين، والمنافسين المحتملين، ونشطاء حقوق الإنسان، والصحافيين والإعلاميين والكتّاب والمفكرين.

سرّحوا أنظاركم، أعيروا أذانكم لما ينبعث من قبور السجون والمعتقلات، ترّوا المسالخ البشرية وما تتفنّن الشرطة القضائية فيها من تعذيب وانتهاك حرّمات وأعراض وأفعال فحشاء، واعتقال أفراد، وتذكروا سجناء ماتوا تعذيبًا في سجون سرّية أو غير رسمية. وما ملفّ « مذبحه سجن أبو سليم » الذي شهد مصرع أكثر من ألف سجين في العام ١٩٩٦ مما يمكن نسيانه.

أنظروا إلى التشريعات العربية تجدها تميل إلى تشديد القيود على الحريات المدنية والسياسية والتخفيف من المسؤوليات الاجتماعية:

فسريان حالة الطوارئ الشاملة يعود في أحد أوطاننا إلى العام ١٩٦٣، وفي موطن لنا آخر يعود إلى العام ١٩٨١، وفي وطن ثالث إلى العام ١٩٩٢، وهكذا دواليك...

وهو قانون يضع قيوداً على حرية الأشخاص في الاجتماع والانتقال والإقامة والمرور والقبض والاعتقال والتفتيش، ويعتمد على المحاكم الاستثنائية، وأبرزها محاكم أمن الدولة والمحاكم العسكرية، التي تقوم على محاكمات وإجراءات تنتهك المعايير الدولية والدساتير الوطنية انتهاكاً فادحاً حيث لا محامون، أو حيث محامون أدوات يسخرها النظام، وحيث محتجزون معزولون عن العالم الخارجي، وحيث الاعترافات تُنزع تحت الإكراه.

أنظروا إلى عنوان الحريات تزوه فارغاً من مضمونه أو يكاد: وسائل الإعلام تزرع تحت ضغوط وقيود تشريعية وممارسات قمعية: حظر صحف، سجن صحافيين، إعتداء بدني عليهم ودعاوى. وكذلك الإعلام المرئي والمسموع فهو هدف للملاحقة والتقييد والحجب والتخريب.

أما التنظيم الحزبي فهو من خرافات العرب. يكفي تدليلاً على غربة الأحزاب عن بلادنا أن ثلث البلدان العربية يحظر هذا الحق قانوناً، ويعتبره من قبيل الخيانة بحق الوطن والتي تستحق عقوبة الإعدام. أما الدول الأكثر ديمقراطية، والتي ترى في التنظيم الحزبي نرجة أو صرعةً عصرية لا بد منه، فتقصره على ائتلاف حزبي تحت هيمنة الحزب الحاكم.

أيها الأخوان العرب الأحباء،

كي تكتمل صورة واقعنا العربي المزري، أسوقُ الأعراضَ والأمراضَ التالية:

- ٣٠% من مواطنينا العرب أميون.
- ٤٠% منهم فقراء.
- ٦٠% من مواردهم الطبيعية وميزانياتهم مهدور.
- الفسادُ ينخر في كلِّ موردٍ ومصدر.
- التوريثُ والتخليفُ سنةٌ محكمةٌ ومالكٌ عضوٌ.
- التعصبُ الطائفي والمذهبي والقبلي والعِرقي ينمُّ عن بدائيةٍ أين منها تعصُّبُ الجاهليين.
- التربيةُ المدنيةُ عديمةٌ أو متفجرة.
- التنشئةُ الوطنيةُ حييةٌ لا تبلغ ما يُرتجى منها.
- الثقافةُ العامةُ وقفتْ على عشرِ الأمة.
- الازدواجيةُ والتقيةُ سيدتان.
- الزبائنيةُ والمحاباةُ جوازُ مرور.
- المناقبيةُ في اندحار.

فهل لشعوب هذه حالها ان تحلمَ في تحرير الأرض العربية ومواجهة مشروعات التقسيم؟

هل لدول هذه سماتها وممارساتها أن تلغي نفسها لتقيم وحدةً عربيةً؟

أيها الأخوان العرب الأحباء،

قبل أن نطرح الوحدة العربية طريقاً لتحرير الأرض ومواجهة مشروعات التقسيم، يكون من الأجدى والأقرب إلى الواقع أن نجعل قضيتنا تحرير الإنسان العربي من فقره وجهله وتخلفه ورقه، ومن أنظمتها التي تعتقله، وتقتله، وتزدرية وتدوسه، وتقمعه، وتسرقه، وتصادر حقوقه، وحرياته، ومن ثم أن ننقل إلى التصدي للأخطار التي تهددنا من الخارج، وفي مقدمتها الخطر الصهيوني المتمثل بكيان دولة إسرائيل.

وعندئذ، يكون للمحامين، ونقاباتهم، والاتحاد، الدور الطبيعي في قيادة الأمة، وإرساء دولة القانون، ونشر القيم العربية والإنسانية، وبناء مجتمع الأحرار.

أجل! علينا أن نتحرر كي يصير في مقدورنا أن نحرر.

أيها الأخوان العرب الأحباء،

إعزوا صراحتي.

لا يسعني - والأخطار داهمة - إلا أن أكون صريحة، صادقة، حرة، وان أرفع الصوت، وان أدلكم إلى ما في جعبة المحامين ونقاباتهم والاتحاد من عقاير وترياق ومباضع.

أيها الأخوة المحامون،

أنتم أمل الأمة، ومعلموها، والمحامون عنها، وقادتها ومحرروها.

والسلام عليكم، وبينكم.

أمل حداد

نقابة المحامين في بيروت